مقدم الجرس

[اهداء تقديس الى رفات امي في نكروبوليس ...]

أفسحوا الدرب . انه جاء خجلان رقيق الخطى كئيب الجبين
ألغلام الحسّاس ذو الاعين الغرقى بتاريخ ألف سرّ حزين
إنه مُطعم العيون العميقات وينبوع كل دمع سخين
ولقد جاءنا تبلل عينيه الدموع الخرساء عبر السنين

انه حزننا الصبيُّ لقيناه على غير موعدٍ وانتظار
لم يزل هادئاً خجولاً كما كان وما زال غامق الاسرار
جاءنا دافئاً أرقّ من الدمع وأحلى من رعشة الاوتار
ففرشنا له طريقاً من اللهفة والحب والدموع الغزار

واخذناه في خشوع الى اعماق أفراحنا وقعر رؤانا
ومنحناه كل ما جمع الحب من اللون والشذى لصبانا
ورصفنا له هوانا وما أبقى لنا الموت والاسى من منانا
وغسلنا جبينه بدموع صامتات عطشى تذوب حنانا

انه خيطنا الاخير الى السروة فيه من أمسنا ألف شيء
لم يزل هامساً لنا «انها ماتت...» على مسمع الشذى والضوء
ان فيه من وجهها وأمانيها وأشواقها بقية دفء
وهو إحساسها يعود الينا مرعشاً من كياننا كل جزء

انه كل ما تبقى لنا من وجه ضحكاتنا ورجع الاغاني
ان فيه نهاية الطرف الثاني لما هدّم الردى من اماني
فوهبنا له صلاة من الادمع حجلى مهموسة الالحان
ومنحناه مسكناً في مآقينا وحباً أقوى من النسيان

بغداد — **نازك الملائكة**

العربي . وامتلأت النفوس تفاؤلاً بعهد جديد من الاصلاح والقوة ، على ان هذا التفاؤل المشرق ما لبث أن أظلته سحابة قاتمة ، فالأصلاح المرجو لم يتم ، والقوّة لم تزد ذرة في الامبراطورية العثمانية ، بدليل ما انتهت اليه الحرب البلقانية سنة ١٩١٢ .

وفي تعليل قصور الانقلاب العثماني عن تحقيق الغايات الاصلاحية المنشودة ، قال الدكتور شبلي الشميل : كان ذلك « لعدم اشتراك الامة فيها اشتراكاً محسوساً بسوى الاكثار من التغني في اول الأمر ، وهي اليوم تكثر من العويل ولا تتعداه الى عمل حازم وتخرسها اقل كمّامة . فثورتنا حتى الان عسكرية ، اقتصر التغيير فيها على صورة الهيئة الحاكمة ، فلم تغيّر شيئاً من اخلاقنا ولم تتصل الى علومنا وصناعاتنا وتجارتنا »

ثمّ زأرت مدافع الحرب العظمى الاولى سنة ١٩١٤ فهزت الدنيا هزاً عنيفاً ومنها مصر والشرق العربي كله . فصل الخديوي عباس عن عرشه ونفي من مصر لأنه كان متهماً بالميل الى الأتراك ، وتجلى الضعف المستور بواجهة مطلية في كيان الامبراطورية العثمانية ، وعصف بها ما فيها من تناقضات فتمزقت . واثبتت القومية العربية انها ذات فعالية قوية ، وان تكن عارضتها اسباب وشوائب من بطش وتآمر من قبل الخارج الاستعماري ، وجهل وخيانة من قبل الداخل . اسباب وشوائب انحرفت بها عن قصدها الذي لا يمكن ان تقصد الى سواه وهو التحرر المطلق .

ولكن برغم ذلك استمر تطور الشرق العربي في نواحي الحياة كلها ، بعد الحرب العظمى الاولى . وطرحت بشكل اشدّ واعنف مسألة استقلال الاوطان العربية وتحررها من نير الأستعمار الأوروبي ، كما تحررت من نير الاستعمار التركي . ولئن كنا لا نستطيع هنا ان نحيط بالحركات والثورات ، والتيارات الفكرية ، التي غلا بها وجاش الشرق العربي في حقبة ما بعد الحرب العظمى الاولى ، وزرع الشهداء من شواطيء الاطلسي الى وادي النيل وجبال نابلس وشوارع بيروت وسفوح قاسيون وضفاف دجلة ، فان علينا ان تكون لنا صورة واضحة من ذلك كله اذا اردنا ان نفهم شوقي ونضعه في موضعه الحق من التاريخ ، ونعرف لم استطاع في تأريخ الأدب العربي ان يكون هو خاتمة القدماء وطليعة المحدثين . واقول : « لم استطاع » توكيداً للعنصر الشخصي في تمكن شوقي ان يبلغ ما بلغ اليه من تبوؤ مركز الخاتم للقدماء والطليعة للمحدثين . فالذي يخيل لي ان التعليل باحوال العصر لظاهرة فريدة في التاريخ يقال لها شوقي او المتنبي هو تعليل قاصر فاشل . فلو لم يكن ثمة العنصر الشخصي ، لو لم تكن ثمة العبقرية ، لوجب اذاً ان يكون المتنبي كلُّ من عاش في عصر المتنبي ، وشوقي كل من عاش في عصر شوقي ، وليس ذلك هو الواقع . وسنرى .

رئيف خوري